إذا كان الكريم له حجابٌ...

قال القاضي التنوخي في كتابه المستجاد من فعلات الأجواد : ١٩٩

حدَّث الأصمعي قائلاً : قصدتُ في بعض الأيام رجلاً كنت أغشاه لكرمه فوجدتُ على بابه بواباً ، فمنعني من الدخول إليه ، ثم قال : والله يا أصمعي ما أوقعني على بابه لأمنع مثلك من الدخول إليه إلا رقَّة حاله وقصور يده ، فكتبت رقعة فيها :

إذا كـــان الكـــريـــم لـــه حجـــاب فما فضل الكريم على اللئيم ؟

ثم قلت له : أوصل رقعتي هذه إليه ، ففعل ، فعادت الرقعة وقد كتب على ظهرها :

إذا كـــان الكـــريـــم قليـــل مـــال تستَّر بالحجاب عن الغريم

وأرسل مع الرقعة صرَّة فيها خمسمئة دينار ، فقلت : والله لأُتحفنَّ أمير المؤمنين بهذا الخبر ، فجئت إليه ، فلما رآني قال لي : من أين يا أصمعي ؟ قلت : رجل قراني (أضافني وأطعمني) علمه وماله ، ثم دفعت إليه الرقعة والصُرَّة ، وأعدت إليه الخبر ، فلما رأى الصرَّة أربد وجهه ، فقال : هذا ختم بيت مالي ، ولابدَّ لي من الرجل الذي دفعها إليك ، فقلت : والله يا أمير المؤمنين إني لأستحي أن أروِّعه برُسلك ، فقال لبعض خواصِّه : امض مع الأصمعي ، فإذا أراك الرجل فقل له : أجب أمير المؤمنين بغير إزعاج ولا إظهار شدَّة ، فلما حضر ، قال له : أما أنت بالأمس الذي وقفت في موكبنا وشكوت لنا رقَّة حالك ، ودفعنا لك ، وقد أصابك الفقر ، فقصدك الأصمعي ببيت شعر واحد فدفعتها إليه ؟ قال : والله ما كذبتُ فيما شكوت يا أمير المؤمنين من رقَّة الحال ، وصعوبة الزمان لكني استحيت أن أعيد قاصدي إلا كما أعادني أمير

المؤمنين ، فقال له : لله أنت فما ولدت العرب أكرم منك ، ثم أمر له بألف دينار ، قال الأصمعي : فقلت : الحقني يا أمير المؤمنين ، فتبسَّم ، وأمر أن تكمل لي ألف دينار ، وأعاد الرجل من جملة ندمائه .

* * *

ما قيل في الطمع والحرص :

مما جاء في ذمِّ الطمع والحرص أقوال للحكماء وأشعار للشعراء ، ومنها :

قيل للإسكندر : ما سرور الدنيا ؟ قال : الحرص عليها .

وقيل : من جرى في عنان أمله كان عاثراً بأجله ، لو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال .

وقال أبو العباس أحمد بن مروان في ذلك :

وذي حـرص تـراه يلـمُّ وفـراً ... لـوارثـه ويـدفـع عنـه حمـاه
ككلب الصيد يمسك وهو طاوٍ ... فـريستـه ليـأكلهـا سـواه

وكان الإمام علي كرم الله وجهه يقول : ما الخمر صرفاً بأذهب لعقول الرجال من الطمع .

وروي أنه اجتمع كعب وعبد الله بن سلام ، فقال له كعب : يا بن سلام ، من أرباب العلم ؟ قال : الذين يعملون به ، قال : فما أذهب العلم عن قلوب العلماء بعد أن علموه ؟ قال : الطمع وشره النفس ، وطلب الحوائج إلى الناس .

وقال أحد العلماء : لما خلق الله آدم عليه السلام عُجن بطينة ثلاثة أشياء : الحرص ، والطمع ، والحسد ، فهي تجري في أولاده إلى يوم